فصل

فى غزوة بدر الكبرى

فلما كان فى رمضان من هذه السنة بلغ رسول الله ﷺ خبر العِيرِ المقبلة من الشام لقريش صحبة أبى سفيان، وهى العير التى خرجوا فى طلبها لما خرجت من مكة، وكانوا نحو أربعين رجلا، وفيها أموال عظيمة لقريش.

فندب رسول الله ﷺ الناس للخروج إليها، وأمر من كان ظهره حاضرا بالنهوض، ولم يحتفل لها احتفالا بليغا؛ لأنه خرج مسرعا فى ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان: فرس للزبير بن العوام، وفرس للمِقْدَاد ابن الأسود الكِنْدِىّ، وكان معهم سبعون بعيرا، يعتقب[1] الرجلان والثلاثة على البعير الواحد، فكان رسول الله ﷺ وعلى، ومرثد بن أبى مرثد الغنوى يعتقبون بعيرا[2]، وزيد بن حارثة، وابنه، وكبشة موالى رسول الله ﷺ يعتقبون بعيرا، وأبو بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيرا.

واستخلف على المدينة وعلى الصلاة ابن أم مكتوم، فلما كان بالرَّوْحَاء رد أبا لُبابة ابن عبد المنذر، واستعمله على المدينة، ودفع اللواء إلى مُصْعَب بن عُمَيْر، والراية الواحدة إلى على بن أبى طالب، والأخرى التى للأنصار إلى سعد بن معاذ، وجعل على الساقة قيس بن أبى صَعْصَعَة، وسار، فلما قرب من الصفراء بعث بَسْبَسَ[3] بن عمرو

---

(١) فى خ: «يعقب»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ٢٥٥، ٢٥٦)، والذى فى مسند الإمام أحمد (١ / ٤١١)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٣٩٠١): «إسناده صحيح»: «وكان أبو لبابة وعلى بن أبى طالب زميلى رسول الله ﷺ ...».

(٣) فى خ، هـ: «نسيس»، وما أثبتناه من ق، ك.

الجهنى، وعدى بن أبى الزغباء إلى بدر يتجسسان أخبار العير .

وأما أبو سفيان فإنه بلغه مخرج رسول الله ﷺ، وقصده إياه، فاستأجر ضَمْضَمَ ابن عمرو الغفارى إلى مكة مستصرخا لقريش بالنفير إلى عيرهم ليمنعوه من محمد وأصحابه، وبلغ الصريخ أهل مكة فنهضوا مسرعين، وأوعبوا فى الخروج، ولم يتخلف من أشرافهم أحد سوى أبى لهب، فإنه عَوَّضَ عنه رجلا كان له عليه دَيْن، وحشدوا فيمن حولهم من قبائل العرب، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بنى عَدِىّ، فلم يخرج معهم منهم أحد .

وخرجوا من ديارهم كما قال الله تعالى : ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال : ٤٧] وأقبلوا كما قال رسول الله ﷺ : «بِحَدِّهِمْ وحديدهم تُحادُّ الله[١] وتحاد رسوله»[٢]، وجاؤوا على حَرْدٍ قادرين، وعلى حمية، وغضب، وحَنَقٍ على رسول الله ﷺ وأصحابه، لما يريدون من أخذ عيرهم وقتل من فيها، [وقد][٣] أصابوا بالأمس عمرو بن الحضرمى، والعير التى كانت معه، فجمعهم الله على غير ميعاد، كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال : ٤٢] .

ولما بلغ رسول الله ﷺ خروج قريش، استشار أصحابه، فتكلم المهاجرون، فأحسنوا، ثم استشارهم ثانيا، فتكلم المهاجرون، فأحسنوا، ثم استشار ثالثا، ففهمت الأنصار أنه يعنيهم، فبادر سعد بن معاذ فقال : يا رسول الله، كأنك تُعَرِّضُ بنا؟ وكان إنما يعنيهم؛ لأنهم بايعوه على أن يمنعوه من الأسود والأحمر فى ديارهم،

---

(١) فى خ، هـ : «تحاده» ، وما أثبتناه من ق.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ٢٦٤)، وفيه قول النبى ﷺ : «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها ...» .

(٣) ليست فى ق ، ك ، هـ ، وما أثبتناه من خ .

فلما عزم على الخروج استشارهم ليعلم ما عندهم .

فقال له سعد : لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى [حقا][١] عليها ألا ينصروك إلا فى ديارها، وإنى أقول عن[٢] الأنصار وأجيب عنهم : فاظْعَنْ حيث شئت، وصِلْ حَبْلَ من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فوالله لئن سرت حتى تبلغ الْبَرْكَ من غَمَدان لنسيرن[٣] معك، ووالله لئن استعرضت[٤] بنا هذا البحر خُضْنَاه[٥] معك .

وقال له المقداد : لا نقول لك كما قال [قوم][٦] موسى لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكنا نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، ومن بين يديك، ومن خلفك .

فأشرق وجه رسول الله ﷺ، وسر بما سمع من أصحابه وقال : «سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين، وإنى قد رأيت مصارع القوم»[٧] .

فسار رسول الله ﷺ إلى بدر، وخَفَضَ أبو سفيان، فلحق بساحل البحر، ولما رأى أنه قد نجا وأحرز العير كتب إلى قريش : أن ارجعوا، فإنكم إنما خرجتم لتحرزوا عيركم، فأتاهم الخبر، وهم بالجُحْفَةِ، فَهَمُّوا بالرجوع، فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نقدم بدرا، فنقيم بها، ونطعم من حضرنا من العرب، وتخافنا العرب بعد ذلك .

---

(١) ليست فى خ ، ق ، ك ، وما أثبتناه من هـ .
(٢) فى خ : «على»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٣) فى خ : «ليسيرون» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ.
(٤) فى خ : «استعضرت» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ.
(٥) فى خ : «ليسيرون» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ.
(٦) ليست فى ق ، ك ، وما أثبتناه من خ، هـ .
(٧) السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ٢٥٨)، ونحوه رواه مسلم فى الجهاد والسير (١٧٧٩ / ٨٣) .

فأشار الأخنس بن شريق عليهم بالرجوع، فعصوه، فرجع هو وبنو زهرة، فلم يشهد بدرا زهرى، فاغتبطت بنو زهرة بعد برأى الأخنس، فلم يزل فيهم مطاعا معظما، وأرادت بنو هاشم الرجوع، فاشتد عليهم أبو جهل وقال : لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع .

وساروا وسار رسول الله ﷺ حتى نزل عشيا أدنى ماء من مياه بدر، فقال : «أشيروا على فى المنزل»، فقال الحُبَابُ بن المنذر : يا رسول الله، أنا عالم بها وبقُلُبها، إن رأيت أن نسير إلى قُلُبٍ قد عرفناها، فهى كثيرة الماء عذبة، فننزل عليها، ونسبق القوم إليها، ونُغَوِّر ما سواها من المياه[١] .

وسار المشركون سراعا يريدون الماء، وبعث عليا وسعدا والزبير إلى بدر يلتمسون الخبر، فقدموا بعبدين لقريش ورسول الله ﷺ قائم يصلى، فسألهما أصحابه: من أنتما؟ فقالا : نحن سقاة لقريش، فكره ذلك أصحابه، وودوا[٢] لو كانا لعير أبى سفيان .

فلما سلم رسول الله ﷺ قال لهما : «أخبرانى أين قريش؟» قالا : وراء هذا الكَثِيب، فقال : «كم القوم؟» فقالا : لا علم لنا فقال : «كم ينحرون كل يوم؟» فقالا : يوما عشرا ويوما تسعا، فقال [رسول الله][٣] ﷺ : «القوم ما بين التسعمائة إلى الألف»، فأنزل الله عز وجل فى تلك الليلة مطرا واحدا، فكان على المشركين وابلا شديدا منعهم من التقدم، وكان على المسلمين طلا طهرهم به، وأذهب عنهم رجز الشيطان، ووطأ به الأرض، وصَلَّب الرمل، وثبت الأقدام، ومهد به المنزل، وربط به على قلوبهم .

---

(١) البخارى فى المغازى (٣٩٥٢)، والسيرة النبوية لابن هشام (٢ / ٢٥٧، ٢٥٨)، ودلائل النبوة للبيهقى (٣ / ٤٥، ٤٦) .

(٢) فى خ : «ووَدَّا» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ.

(٣) ليست فى خ ، ق ، ك، وما أثبتناه من هـ .

فسبق رسول الله ﷺ والمسلمون إلى الماء، فنزلوا عليه شطر الليل، وصنعوا الحياض، ثم غوروا ما عداها من المياه، ونزل رسول الله ﷺ وأصحابه على الحياض، وبنى لرسول الله ﷺ عريش يكون فيها على تَلٍّ يشرف على المعركة، ومشى فى موضع المعركة، وجعل يشير بيده : «هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان إن شاء الله»، فما تعدى أحد منهم موضع إشارته[١].

فلما طلع المشركون، وتراءى الجمعان، قال رسول الله ﷺ : «اللهم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها، جاءت تحادك، وتكذب رسولك»، وقام ورفع يديه واستنصر ربه وقال : «اللهم أنْجِزْ لى ما وعدتنى، اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك»، فالتزمه الصديق من ورائه، وقال : يا رسول الله، أبشر، فوالذى نفسى بيده، لينجزن الله لك ما وعدك[٢].

واستنصر المسلمون الله، واستغاثوه، وأخلصوا له، وتضرعوا إليه، فأوحى الله إلى ملائكته : ﴿ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ [الأنفال : ١٢]، وأوحى إلى رسوله : ﴿ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[الأنفال : ٩] قرئ بكسر الدال وفتحها، فقيل : المعنى : إنهم ردف لكم، وقيل : يردف بعضهم بعضا أرسالا لم يأتوا[٣] دفعة واحدة .

فإن قيل :هاهنا ذكر أنه أمدهم بألف، وفى «سورة آل عمران» قال : ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ

(١)أحمد (١ / ١١٧)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٩٤٨) : «إسناده صحيح»، وقال الهيثمى فى المجمع (٦/ ٧٨، ٧٩) : «رجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب، وهو ثقة» . والكثيب : ما اجتمع من الرَّمْل .

(٢)مسلم فى الجهاد والسير (١٧٦٣ / ٥٨)، وأحمد (١ / ٣٠، ٣١) .

(٣)فى هـ : «يأتوه»، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك.

مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [آل عمران] فكيف الجمع بينهما؟

قيل: قد اختلف فى هذا الإمداد الذى بالثلاثة آلاف، وبالخمسة على قولين:

أحدهما: أنه كان يوم أحد، وكان إمدادا معلقا على شرط، فلما فات شرطه فات الإمداد، وهذا قول الضحاك ومقاتل، وإحدى الروايتين عن عكرمة.

والثانى: أنه كان يوم بدر، هذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة.

والرواية الأخرى عن عكرمة اختاره جماعة من المفسرين، وحجة هؤلاء أن السياق يدل على ذلك، فإنه سبحانه قال: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [آل عمران] إلى أن قال: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، أى: هذا الإمداد ﴿ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٢٦] قال هؤلاء: فلما استغاثوه أمدهم [بألف ثم أمدهم] (١) بتمام ثلاثة آلاف، ثم أمدهم بتمام خمسة آلاف لما صبروا واتقوا، وكان هذا التدريج ومتابعة الإمداد أحسن موقعا وأقوى لنفوسهم، وأسَرَّ لها من أن يأتى به دفعة [واحدة] (٢) وهو بمنزلة متابعة الوحى ونزوله مرة بعد مرة.

وقالت الفرقة الأولى: القصة فى سياق أُحُد، وإنما دخل ذكر بدر اعتراضا فى أثنائها (٣)، فإنه سبحانه قال: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [آل عمران]، ثم قال: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ

---

(١) ساقط من المطبوع.

(٢) ليست فى خ، ق، ك، وما أثبتناه من هـ.

(٣) فى هـ: «إتيانها»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عمران]، فذكرهم نعمته عليهم لما نصرهم ببدر، وهم أذلة، ثم عاد إلى قصة أحد، وأخبر عن قول رسوله لهم : ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [آل عمران]، ثم وعدهم أنهم إن صبروا واتقوا أمدهم بخمسة آلاف، فهذا من قول رسوله والإمداد الذى ببدر من قوله تعالى وهذا بخمسة آلاف، وإمداد بدر بألف، وهذا معلق على شرط وذلك مطلق، والقصة فى «سورة آل عمران» هى قصة أحد مستوفاة مطولة، وبدر ذكرت فيها اعتراضا والقصة فى سورة الأنفال قصة بدر مستوفاة مطولة، فالسياق فى «آل عمران» غير السياق فى الأنفال .

يوضح هذا : أن قوله : ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا ﴾ [آل عمران : ١٢٥]، قد قال مجاهد : إنه يوم أحد، وهذا يستلزم أن يكون الإمداد المذكور فيه، فلا يصح قوله: إن الإمداد بهذا القدر كان يوم بدر، وإتيانهم من فورهم هذا يوم أحد، والله أعلم .

فصل

وبات رسول الله ﷺ يصلى إلى جِذْعِ شجرة هناك، وكانت ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان فى السنة الثانية، فلما أصبحوا أقبلت قريش فى كتائبها واصطف الفريقان، فمشى حكيم بن حِزَام، وعتبة بن ربيعة فى قريش أن يرجعوا ولا يقاتلوا، فأبى ذلك أبو جهل، وجرى بينه وبين عتبة كلام[1] أحفظه، وأمر أبو جهل أخا عمرو بن الحضرمى أن يطلب دم أخيه عمرو[2]، فكشف عن استه وصرخ : واعمراه، فحمى القوم، ونشبت الحرب، وعدل رسول الله ﷺ الصفوف، ثم رجع

(١) فى خ : «كلاما»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٢) فى خ : «عمرًا»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

إلى العريش، هو وأبو بكر خاصة، وقام سعد بن معاذ وقوم من الأنصار على باب العريش، يحمون رسول الله ﷺ .

وخرج عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة يطلبون المبارزة، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار : عبد الله بن رواحة، وعوف ومعوذ ابنا عفراء، فقالوا لهم : من أنتم؟ فقالوا : من الأنصار، قالوا : أكفاء كرام، وإنما نريد بنى عمنا .

فبرز إليهم على وعبيدة بن الحارث وحمزة فقتل عليٌّ قِرْنَه الوليد، وقتل حمزة قرنه عتبة، وقيل : شيبة، واختلف عبيدة وقرنه ضربتين، فكَرَّ حمزة وعليٌّ على قِرْن عبيدة، فقتلاه واحتملا عبيدة[١]، وقد قطعت رجله، فلم يزل ضَمِنًا حتى مات بالصَّفْراء[٢].

وكان على ﷺ يقسم بالله : لنزلت هذه الآية فيهم : ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾الآية [الحج : ١٩][٣].

ثم حمى الوَطِيسُ واستدارت رحى الحرب، واشتد القتال، وأخذ رسول الله ﷺ فى الدعاء والابتهال، ومناشدة ربه ـ عز وجل ـ حتى سقط رداؤه عن منكبه فرده عليه الصديق، وقال : [يكفيك][٤] بعض مناشدتك ربك، فإنه منجز لك ما وعدك[٥].

فأغفى رسول الله ﷺ إغفاءة، وأخذ القوم النعاس فى حال الحرب، ثم رفع

---

(١) أبو داود فى الجهاد (٢٦٦٥)، وأحمد (١ / ١١٧)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٩٤٨) : «إسناده صحيح» .

(٢) الحاكم فى المستدرك (٣ / ١٨٧، ١٨٨)، وقال : «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى .

(٣) البخارى فى التفسير (٤٧٤٤)، وفى مسلم فى التفسير (٣٠٣٣ / ٣٤)، والنسائى فى الكبرى فى السير (٤٦٤٨) .

(٤) ليست فى خ ، ق ، ك ، وما أثبتناه من هـ .

(٥) مسلم فى الجهاد والسير (١٧٦٣ / ٥٨) .

رسول الله ﷺ رأسه وقال : «أبشر يا أبا بكر! هذا جبريل على ثناياه النَّقْع»[١] .

وجاء النصر، وأنزل الله جنده، وأيد رسوله، والمؤمنين، ومنحهم أكتاف المشركين أسرًا، وقتلا، فقتلوا منهم سبعين، وأسروا سبعين .

فصل

ولما عزموا على الخروج ذكروا ما بينهم وبين بنى كِنَانة من الحرب، فتَبدَّى لهم إبليس فى صورة سُرَاقة بن مالك المُدْلِجِىّ، وكان من أشراف بنى كنانة، فقال لهم : لا غالب لكم اليوم من الناس، وإنى جار لكم من أن تأتيكم كنانة بشىء تكرهونه، فخرجوا، والشيطان جار لهم[٢] لم يفارقهم، فلما تعبؤوا للقتال، ورأى عدو الله جند الله قد نزلت من السماء فر، ونكص على عقبيه، فقالوا : إلى أين يا سراقة؟ ألم تكن قلت : إنك جار لنا لا تفارقنا؟ فقال : إنى أرى ما لا ترون، إنى أخاف الله، والله شديد العقاب[٣]، وصدق فى قوله : إنى أرى ما لا ترون، وكذب فى قوله : إنى أخاف الله، وقيل : كان خوفه على نفسه أن يهلك معهم، وهذا أظهر .

ولما رأى المنافقون، ومن فى قلبه مرض قلة حزب الله، وكثرة أعدائه ظنوا أن الغلبة إنما هى بالكثرة، فقالوا : ﴿غَرَّ هَٰؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾[الأنفال : ٤٩]، فأخبر سبحانه أن النصر بالتوكل عليه لا بالكثرة، ولا بالعُدَدَ، والله عزيز لا يغالب، حكيم ينصر من يستحق النصر،وإن كان ضعيفا، فعزته،وحكمته أوجبت نصر الفئة المتوكلة عليه .

ولما دنا العدو وتواجه القوم قام رسول الله ﷺ فى الناس فوعظهم، وذكرهم بما

---

(١)السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ٢٦٩)، وتفسير ابن كثير عند الآية ٩ من سورة الأنفال . والنَّقْع : الغُبار .

(٢)فى هـ : «جارهم»، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك.

(٣)السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ٣٠٤) .

لهم فى الصبر والثبات، من النصر والظفر العاجل، وثواب الله [عليه][(١)] الآجل، وأخبرهم أن الله قد أوجب الجنة لمن استشهد فى سبيله، فقام عُمَيْر بن الحُمام فقال : يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال : «نعم» .

قال : بخ بخ يا رسول الله، قال : «ما يحملك على قولك : بخ بخ؟» قال : لا والله، يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال : «فإنك من أهلها»، قال : فأخرج تمرات من قَرَنِه فجعل يأكل منهن، ثم قال : لئن حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتل حتى قتل[(٢)] فكان أول قتيل .

وأخذ رسول الله ﷺ ملء كفه من الحصباء فرمى بها وجوه العدو، فلم تترك رجلا منهم إلا ملأت عينيه، وشغلوا بالتراب فى أعينهم، وشغل المسلمون بقتلهم، فأنزل الله فى شأن هذه الرمية على رسوله : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال : ١٧][(٣)] .

وقد ظن طائفة أن[(٤)] الآية دلت على نفى الفعل عن العبد، وإثباته لله، وأنه هو الفاعل حقيقة، وهذا غلط منهم من وجوه عديدة مذكورة فى غير هذا الموضع، ومعنى الآية : أن الله ـ سبحانه ـ أثبت لرسوله ابتداء الرمى، ونفى عنه الإيصال الذى لم يحصل برميته، فالرمى يراد به الحذف والإيصال، فأثبت لنبيه الحذف، ونفى عنه الإيصال .

---

(١) ليست فى خ ، ق ، ك ، وما أثبتناه من هـ .

(٢) مسلم فى الإمارة (١٩٠١ / ١٤٥)، وأحمد (٣ / ١٣٦، ١٣٧) .

وقوله : «بَخ بَخ» : هى كلمة تقال عند المدح والرِّضا بالشىء، وتكرر للمبالغة، ومعناها تعظيم الأمر وتفخيمه . والقَرَن . الجَعْبَة .

(٣) الطبرانى فى الكبير (١١ / ٢٨٥) (١١٧٥٠)، وقال الهيثمى فى المجمع (٦ / ٨٧) : «رجاله رجال الصحيح» .

(٤) فى هـ : «على أن»، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك .

وكانت الملائكة يومئذ تبادر المسلمين إلى قتل أعدائهم، قال ابن عباس : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسَّوْطِ فوقه، وصوت الفارس فوقه يقول : أقدم حَيْزُوم، إذ نظر إلى المشرك أمامه مستلقيا، فنظر إليه، فإذا هو قد خُطِمَ أنفه وشُقَّ وجهه كضربة السوط، فاخْضَرَّ ذلك أجمع، فجاء الأنصارى فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال : «صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة»(١) .

وقال أبو داود المازنى : إنى لأتبع رجلا من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفى، فعرفت أنه قد قتله غيرى(٢) .

وجاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبد المطلب أسيرا، فقال العباس : إن هذا والله، ما أسرنى، لقد أسرنى رجل أجلح، من أحسن الناس وجها، على فرس أبْلَق، ما أراه فى القوم، فقال الأنصارى : أنا أسرته يا رسول الله، فقال : «اسكت فقد أيدك الله بملك كريم»، وأسر من بنى [عبد](٣) المطلب ثلاثة : العباس، وعَقِيل، ونوفل بن الحارث(٤) .

وذكر الطبرانى فى معجمه الكبير، عن رِفَاعَة بن رافع، قال : لما رأى إبليس ما تفعل الملائكة بالمشركين يوم بدر، أشفق أن يخلص إليه القتل، فتشبث(٥) به الحارث ابن هشام، وهو يظنه سراقة بن مالك، فوكز فى صدر الحارث، فألقاه، ثم خرج هاربا حتى ألقى نفسه فى البحر، ورفع يديه، وقال : اللهم إنى أسألك نظرتك إياى،

---

(١) مسلم فى الجهاد (١٧٦٣ / ٥٨) .

(٢) أحمد (٥ / ٤٥٠)، والسيرة النبوية لابن هشام (٢ / ٢٧٥) بإسناد حسن .

(٣) ليست فى ق، ك ، هـ ،وما أثبتناه من خ .

(٤) أحمد (١ / ١١٧)، وقال الشيخ أحمد شاكر(٩٤٨) : «إسناده صحيح»، وقال الهيثمى فى المجمع (٦/ ٧٨، ٧٩) : «رجال أحمد رجال الصحيح» .

والفرس الأبْلَق : ما فيه سواد وبياض .

(٥) فى هـ : «فثبت»، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك.

وخاف أن يخلص إليه القتل .

فأقبل أبو جهل بن هشام فقال : يا معشر الناس، لا يهزمنكم خذلان سراقة إياكم، فإنه كان على ميعاد من محمد، ولا يَهُولَنَّكُم قتل عتبة وشيبة والوليد فإنهم قد عجلوا، فواللات والعزى لا نرجع حتى نقرنهم بالحبال، ولا ألفين رجلا منكم قتل منهم رجلا، ولكن خذوهم أخذا حتى نُعَرِّفَهم سوء صنيعهم[١] .

واستفتح أبو جهل فى ذلك اليوم، فقال : اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرفه فأحِنْهُ الغداة، اللهم أينا كان أحب إليك، وأرضى عندك فانصره اليوم، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنفال] .

ولما وضع المسلمون أيديهم فى العدو يقتلون، ويأسرون، وسعد بن معاذ واقف على باب الخيمة التى فيها رسول الله ﷺ، وهى العريش، متوشحا بالسيف فى ناس من الأنصار، رأى رسول الله ﷺ فى وجه سعد بن معاذ الكراهية[٢] لما يصنع الناس، قال رسول الله ﷺ : «كأنك تكره ما يصنع الناس؟»، قال : أجل والله، كانت أول وقعة أوقعها الله بالمشركين، وكان الإثخان فى القتل أحب إلى من استبقاء الرجال[٣] .

ولما بردت الحرب ووَلَّى القوم منهزمين، قال رسول الله ﷺ : «من ينظر لنا ما صنع أبو جهل؟»، فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا[٤] عفراء، حتى بَرَدَ،

---

(١) الطبرانى فى الكبير (٥ / ٤٧) (٤٥٥٠)، وقال الهيثمى فى المجمع (٦ / ٨٠) : «فيه عبد العزيز بن عمران، وهو ضعيف» .

(٢) فى خ : «الكراهة» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ٢٧٠، ٢٧١) .

(٤) فى هـ : «أبناء» ، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك.

وأخذ بلحيته، فقال : أنت أبو جهل؟ فقال : لمن الدائرة اليوم؟ فقال : لله ولرسوله، وهل أخزاك الله يا عدو الله؟ فقال : وهل فَوْقَ رجل قتله قومه؟ فقتله عبد الله، ثم أتى النبى ﷺ فقال : قتلته، فقال : «الله الذى لا إله إلا هو» فرددها ثلاثا، ثم قال : «الله أكبر، الحمد لله الذى صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، انطلق فأرنيه»، فانطلقنا فأريته إياه فقال : «هذا فرعون هذه الأمة»(١) .

وأسر عبد الرحمن بن عوف أُمَيَّة بن خلف، وابنه عليا، فأبصره بلال، وكان أمية يعذبه بمكة، فقال : رأس الكفر أمية بن خلف، لا نَجَوتُ إن نجا، ثم اسْتَوْخَى جماعة من الأنصار، واشتد عبد الرحمن [بن عوف](٢) بهما يُحْرِزهما(٣) منهم، فأدركوهم، فشغلهم عن أمية بابنه، ففرغوا منه، ثم لحقوهما، فقال له عبد الرحمن : ابرك، فبرك فألقى نفسه عليه، فضربوه بالسيوف من تحته حتى قتلوه، وأصاب بعض السيوف رجل عبد الرحمن بن عوف، قال له أمية قبل ذلك : من الرجل المُعَلَّم فى صدره بريشة نعامة؟ فقال : ذاك(٤) حمزة بن عبد المطلب، فقال : ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل، وكان مع عبد الرحمن أدراع قد استلبها، فلما رآه أمية قال له : أنا خير لك من هذه الأدراع، فألقاها وأخذه، فلما قتله الأنصار كان يقول : يرحم الله بلالا فَجَعَنِى بأدراعى، وبأسيرى(٥) .

وانقطع يومئذ سيف عُكَّاشَة بن مِحصَن، فأعطاه النبى ﷺ جِذْلًا من حطب، فقال : «دونك هذا»، فلما أخذه عكاشة وهزه، عاد فى يده سيفا طويلا شديدا أبيض،

---

(١) البخارى فى المغازى (٣٩٦٢)،ومسلم فى الجهاد والسير (١٨٠٠ / ١١٨)، وأحمد (٣/ ١٢٩،١١٥).
وقوله : «بَرَد» : أى مات . ومعنى قوله : «هل فَوْق رجل قتله قومه؟» : أى هل علىّ عار غير قتلكم إياى .

(٢) ليست فى خ ، ق ، ك ، وما أثبتناه من هـ .

(٣) فى هـ : «يحوزهما» ، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك.

(٤) فى هـ : «ذلك» ، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك .

(٥) السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ٢٧٣)، ونحوه عند البخارى فى الوكالة (٢٣٠١) . وقوله : «اسْتَوْخَى» : أى استصرخ .

فلم يزل عنده يقاتل به حتى قتل فى الردة أيام أبى بكر [١].

ولقى الزبير عُبَيْدَة بن سعيد بن العاص، وهو مُدَجَّج فى السلاح لا يرى منه إلا الْحَدَق، فحمل عليه الزبير بحربته فطعنه فى عينه فمات، فوضع رجله على الحربة ثم تمطى فكان الجهد أن نزعها، وقد انثنى طرفاها، [قال عروة] [٢]: فسأله إياها رسول الله ﷺ فأعطاه، فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها، ثم طلبها أبو بكر فأعطاها [٣]، فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه، فلما قبض عمر أخذها، ثم طلبها عثمان فأعطاه، فلما قبض عثمان وقعت عند آل على فطلبها عبد الله بن الزبير،وكانت عنده حتى قتل [٤].

وقال رفاعة بن رافع : رميت بسهم يوم بدر فَفُقِئَتْ عينى، فَبَصَقَ فيها رسول الله ﷺ ودعا لى، فما آذانى منها شىء [٥].

ولما انقضت الحرب أقبل رسول الله ﷺ حتى وقف على القتلى، فقال : «بئس عشيرة النبى كنتم لنبيكم، كذبتمونى، وصدقنى الناس، وخذلتمونى، ونصرنى الناس، وأخرجتمونى، وآوانى الناس» [٦].

ثم أمر بهم فسحبوا إلى قَلِيب [٧] من قُلُب بدر، فطرحوا فيه، ثم وقف عليهم فقال : «يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا فلان، ويا فلان، هل وجدتم ما وعدكم [٨] ربكم حقا، فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا»، فقال عمر بن الخطاب :

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ٢٧٨)، ودلائل النبوة للبيهقى (٣ / ٩٨، ٩٩).
(٢) ليست فى ق ، ك ، هـ ، وما أثبتناه من خ .
(٣) فى خ : «فأعطاه»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٤) البخارى فى المغازى (٣٩٩٨) .
(٥) كشف الأستار (١٧٧١)، والطبرانى فى الكبير (٥ / ٤٢) (٤٥٣٥)، وقال الهيثمى فى المجمع (٦/ ٨٥) : «فيه عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف»، ودلائل النبوة للبيهقى (٣ / ١٠٠) .
(٦) السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ٢٨١) .
(٧) القَلِيب : البئر، ويجمع على قُلُب .
(٨) فى هـ : «وعد» ، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك.

يا رسول الله، ما تخاطب من أقوام قد جَيَّفُوا؟ فقال : «والذى نفسى بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون الجواب»[(١)]، ثم أقام رسول الله ﷺ بالعَرْصَة ثلاثا، وكان إذا ظهر على قوم أقام بعرصتهم ثلاثا[(٢)].

ثم ارتحل مؤيدا منصورا قرير العين بنصر الله [له][(٣)]، ومعه الأسارى، والمغانم، فلما كان بالصَّفْراء قسم الغنائم، وضرب عنق النضر بن الحارث بن كَلَدَةَ، ثم لما نزل بِعِرْقِ الظُّبيَة ضرب عنق عقبة بن أبى مُعَيْط .

ودخل رسول الله ﷺ المدينة مؤيدا، مظفرا، منصورا، قد خافه كل عدو له بالمدينة وحولها، فأسلم بشر كثير من أهل المدينة، وحينئذ دخل عبد الله بن أُبَىّ المنافق، وأصحابه فى الإسلام ظاهرا .

وجملة من حضر بدرا من المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا، من المهاجرين ستة وثمانون، ومن الأوس أحد وستون، ومن الخزرج مائة وسبعون، وإنما قل عدد الأوس عن الخزرج، وإن كانوا أشد منهم، وأقوى شوكة، وأصبر عند اللقاء : أن منازلهم كانت فى عوالى المدينة، وجاء النفير بغتة، وقال النبى ﷺ : «لا يتبعنا إلا من كان ظهره حاضرا»، فاستأذنه رجال ظهورهم فى علو المدينة أن يستأنى بهم حتى يذهبوا إلى ظهورهم فأبى[(٤)]، ولم يكن عزمهم على اللقاء، ولا أعدوا له عدته، ولا تأهبوا له أهبته، ولكن جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد .

واستشهد من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلا : ستة من المهاجرين، وستة من الخزرج، واثنان من الأوس، وفرغ رسول الله ﷺ من شأن بدر، والأسارى فى شوال[(٥)].

---

(١) مسلم فى الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٧٤ / ٧٧)، والنسائى فى الجنائز (٢٠٧٥) .

(٢) البخارى فى المغازى (٣٩٧٦)، وأبو داود فى الجهاد (٢٦٩٥)، والترمذى فى السير (١٥٥١) .
والعَرْصة : هى كل موضع واسع لا بناء فيه .

(٣) ليست فى ق ، ك، هـ ، وما أثبتناه من خ.

(٤) مسلم فى الإمارة (١٩٠١ / ١٤٥)، وأحمد (٣ / ١٣٦) .

(٥) انظر :السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ٣٤٥، ٣٤٦)،والطبقات الكبرى لابن سعد (٢ / ١٢، ١٣).

فصل

ثم نهض بنفسه صلوات الله وسلامه عليه بعد فراغه بسبعة أيام إلى غزو بنى سُلَيْم، واستعمل على المدينة سِبَاعَ بن عُرْفُطَةَ، وقيل : ابن أم مكتوم، فبلغ ماء يقال له : الكُدْر، فأقام عليه ثلاثا، ثم انصرف، ولم يلق كيدا[١] .

فصل

ولما رجع فَلُّ[٢] المشركين إلى مكة موتورين، محزونين نذر أبو سفيان أن لا يمس رأسه ماء، حتى يغزو رسول الله ﷺ، فخرج فى مائتى راكب حتى أتى العُرَيْض فى طرف المدينة، وبات ليلة واحدة عند سَلَام بن مِشْكَم اليهودى، فسقاه الخمر، وبَطَنَ له من خبر الناس، فلما أصبح قطع أصوارا[٣] من النخل، وقتل رجلا من الأنصار، وحليفا له، ثم كَرَّ راجعا، ونذر به رسول الله ﷺ، فخرج فى طلبه، فبلغ قَرْقَرَةَ الكُدْرِ، وفاته أبو سفيان، وطرح الكفار سَوِيقا كثيرا من أزوادهم يتخففون به، فأخذها المسلمون فسميت غزوة السَّوِيق، وكان ذلك بعد بدر بشهرين[٤] .

فصل

فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بقية ذى الحجة، ثم غزا نجدا يريد غَطَفان،

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣ / ٥، ٦)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٢ / ٢٧) .

(٢) يُقال : فلَلتُ الجيش أى: كسرته، وقَوْم فَلٌّ : منهزمون .

(٣) الأصْوَار : جمع صُور، وهو النخل الصغار .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٣ / ٦، ٧)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٢ / ٢٢، ٢٣) . والسَّوِيق : ما يُعمل من الحِنطة والشعير .

واستعمل على المدينة عثمان بن عفان ﷺ، فأقام هناك صفرا كله من السنة الثالثة، ثم انصرف، ولم يلق حربا[١].

فصل

فأقام بالمدينة ربيعا[٢] الأول، ثم خرج يريد قريشا، واستخلف[٣] على المدينة ابن أم مكتوم، فبلغ بُحْرَان مَعْدِنا بالحجاز من ناحية الفُرْع، ولم يلق حربا، فأقام هنالك ربيعا الآخر[٤]، وجمادى الأولى، ثم انصرف إلى المدينة[٥].

فصل

ثم غزا بنى قينقاع، وكانوا من يهود المدينة فنقضوا عهده، فحاصرهم خمس عشرة[٦] ليلة حتى نزلوا على حكمه، فشفع فيهم عبد الله بن أبى وألح عليه، فأطلقهم له، وهم قوم عبد الله بن سلام، وكانوا سبعمائة مقاتل، وكانوا صاغة وتجارا[٧].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣ / ٨)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٢ / ٢٦).
(٢) فى خ، ق: «ربيع»، وما أثبتناه من ك، هـ.
(٣) فى هـ: «استعمل»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.
(٤) فى خ: «ربيع الآخرة»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.
(٥) السيرة النبوية لابن هشام (٣ / ٨)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٢ / ٢٦).
(٦) فى هـ: «خمسة عشر»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.
(٧) السيرة النبوية لابن هشام (٣ / ٩ ـ ١١)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٢ / ٢١، ٢٢).

فصل

فى قتل كعب بن الأشرف

وكان رجلا من اليهود، وأمه من بنى النضير، وكان شديد الأذى لرسول الله ﷺ وكان يُشَبِّبُ فى أشعاره بنساء الصحابة، فلما كانت وقعة بدر ذهب إلى مكة، وجعل يؤلب على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين، ثم رجع إلى المدينة على تلك الحال، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله»، فانتدب له[١] محمد بن مسلمة، وعَبَّاد بن بشر، وأبو نائلة واسمه سِلْكَانُ بن سلامة[٢]، وهو أخو كعب من الرضاع، والحارث بن أوس، وأبو عَبْس بن جبر، وأذن لهم رسول الله ﷺ أن يقولوا ما شاؤوا من كلام يخدعونه به.

فذهبوا إليه فى ليلة مقمرة، وشيعهم رسول الله ﷺ إلى بَقِيع الغَرْقَدِ، فلما انتهوا إليه قدموا سلكان بن سلامة إليه، فأظهر له موافقته على الانحراف عن رسول الله ﷺ وشكا إليه ضيق حاله، وكلمه فى أن يبيعه وأصحابه طعاما، ويرهنونه سلاحهم، فأجابهم إلى ذلك.

فرجع سلكان إلى أصحابه، فأخبرهم، فآتوه، فخرج إليهم من حصنه، فتماشوا فوضعوا عليه سيوفهم، ووضع محمد بن مسلمة مِغْوَلًا[٣] كان معه فى ثُنَّته[٤] فقتله،

---

(١) فى ق: «منه»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ.

(٢) فى خ، ق، هـ: «سلام»، وذكر بعدها سلامة، وما أثبتناه من ك.

(٣) المِغْوَل ـ كما فى النهاية فى غريب الحديث: شِبْه سيف قصير، يشتمل به الرجل تحت ثيابه. وقيل: هو حديدة دقيقة له حدّ ماضٍ وقفًا. وقيل: هو سَوْط فى جوفه سيف دقيق يشدّه الفاتك على وسطه ليغتال به الناس.

(٤) الثُّنَّة: ما بين السُّرَّة والعانة من أسفل البطن.

وصاح عدو الله صيحة شديدة أفزعت من حوله، وأوقدوا النيران .

وجاء الوفد حتى قدموا على رسول الله ﷺ من آخر الليل، وهو قائم يصلى، وجرح الحارث بن أوس ببعض سيوف أصحابه، فتفل عليه رسول الله ﷺ فبرئ، فأذن رسول الله ﷺ فى قتل من وجد من اليهود؛ لنقضهم عهده ومحاربتهم لله ولرسوله[(١)(٢)] .

(١) فى خ : «ورسوله»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٢) البخارى فى المغازى (٤٠٣٧)، ومسلم فى الجهاد والسير (١٨٠١ / ١١٩)، والسيرة النبوية لابن هشام (٣ / ١٢ ـ ١٩)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٢ / ٢٤ ـ ٢٦) .

obeikandl.com